مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الثامن عشر– شباط 2023 – رجب 1444 ISSN-2536-0027

التداخل مع الشخصيات التاريخية والتراثية في كتاب الفصوص لصاعد البغدادي(ت417هـ)

اعداد الطالبة منال معن حوذان
تحت أشراف أ.د. صادق جعفر عبد الحسين
جامعة ذي قار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص
أن مفهوم التداخل النصي جاء من الغرب، ألا ان جذوره الأولى في النقد العربي القديم، فقد جاء على شكل مصطلحات نقدية كالسرقات، والأغارة، والاستعانة وهذا يدل على أن المفهوم انبثق من حياة العرب القديمة، وهذا ما اشارت اليه الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا، ورولان بارت من حتمية تداخل النصوص، لأسباب تتعلق بالموروث الثقافي البشري القائم على قراءة التجارب والاقوال التي مضى على قولها في زمن محدد، ومن ثم إعادة ترجمتها في الفنون الأدبية بما يتناسب مع الاحداث والظروف القائمة في الوقت الحالي، لذا فأن التداخل النصي يحدث بنسب متفاوتة مع النصوص الأدبية السابقة. وبعد قراءة كتاب الفصوص اصاعد البغدادي، وجدنا ثراء واسع، لما يتمتع به الكتاب من تنوع فصوص مادته، وما تحمله من ثقافة عالية في طرح تداخلات في مختلف الفصوص الدينية، والتاريخية، وتداخل الكتب التراثية والشخصيات بكافة مجالاتها الحياتية،
وطرح الاخبار عن الشعراء وغيرهم.

التداخل مع الشخصيات التاريخية والتراثية في كتاب الفصوص

توطئة:

للشخصية أهمية كبيرة في بناء النص، بوصفها عنصراً بانياً ورافداً مهماً للنص، إذ ان التأريخ ووقائعه حادثة تدور في فلك الزمان والمكان، وبلغت تلك الأهمية مداها عند كثير من النقاد حتى أصبحت العمود الفقري للنص، فأنصب اهتمامهم بجميع نواحي الشخصية سواء كانت اجتماعية أم تأريخيه أم نفسية[1].

والتداخل النصي جاء بمفهومه الحديث، كونه ممارسة نقدية ذو محور متكامل بيّن مدى الارتباط الواضح بين جهات الخطاب الادبي من خلال التعالق والتلاقح بين النصوص، أذ يلتقي سابقها بلاحقها من خلال معطيات مختلفة تخلق مبادئ ورؤى واضحة[2].

أن استحضار الشخصية التاريخية ذات بعد تراثي في النص الشعري او النثري يشير الى عدة ابعاد في النص؛ لكونها مرتبطة بدلالات زمنية متعلقة بها اكثر من كونها شخصية تاريخية[3]. وهنا تبرز قدرة الكاتب مع التفاعل مع النصوص المختلفة وهذه القدرة لا تتأتي إلا ب((امتلاء))، خلفيته النصية من التجارب السابقة، وتحويلها الى تجارب جديدة مستمرة بشكل دائم[4]. لذلك يجد الاديب نفسه رهين الالتزام بالموروث طولياً وعرضياً من خلال اعتبارات وحدة الفكر والموروث التاريخي، لذلك نجد كثير من الادباء يعولون على فكرة استدعاء الشخصيات التاريخية والتراثية ويصفون لها أنماط عامه التي تعدُّ من العوامل التي كانت سبب في شيوع هذه الظاهرة في شعرنا المعاصر. ونجد الدكتور علي عشري زايد يذكر أنماط خاصة لهذه الظاهرة منها:

(عوامل فنية، عوامل قومية، عوامل نفسية)[5]، فقد بين أن إحساس الشاعر المعاصر بالموروث الفني والثقافي يمنح العقيدة المعاصرة طاقات إيجابية لا حدود لها من خلال توظيف هذه المعطيات في الإيحاء والتأثير وتلونها بألوان القداسة وتأثيرها في نفوس المتلقين.

أما العوامل الأخرى، فكان لها موقف مشرف في احياء الموروث القديم، من خلال الثقافة والتمازج بين الحضارات الغربية، وكان للسياسة دور كبير برفع ستار البطش من السلطات الحاكمة باستعمال أدوات وعبارات مجلجلة ذات وقع على السامعين، ومن خلال استخدام الرمز، الاسطورة، اصوات الحيوانات، وايحاءات الجماد من خلال رسم صورة تعبر عن رؤياهم بصورة غير مباشرة[6].

أن الشخصيات التاريخية التي سوف نستعرضها في كتاب الفصوص، تعّد ايحاء توظيفي للنص له ابعاد ورؤيا خاصة للشاعر والاديب معاً، لأن توظيف الشخصية عندهم يمتلك معطيات تجعلها تتجاوز المدَّة التي ظهرت فيها وهي ترتبط بديمومة التواصل التاريخي والتراثي والقضايا الاجتماعية والفكرية والعاطفية والفنية[7].

وبما ان كتاب الفصوص جاء على شكل عدَّة اخبار منقولة لشخصيات تاريخية في أزمان مختلفة، لذلك عمّد البغدادي الى توظيف فن الخبر كشكل من اشكال التوظيف التاريخي التراثي من خلال احتواء الموضوعات المتعلقة بالجد والهزل والخيال والمحاكاة وعرضها بأسلوب موجز ومكثف وطابع جمالي متميز، لذلك افرد صاعد في كتابه فصوصاً عن الأخبار التاريخية، ولاسيما اخبار الجيل الأول من المؤرخين وسماهم ب(الاخباريين)[8]، ومن الأسماء التي يكثر من الرواية عنها الزبير بن بكار، المدائني، ابن الكلبي والسكن بن سعيد، وتنوعت اخبارهم بين تاريخيه واجتماعية وجاهلية، وقد تفرد بأخبار الصحابة الاجلاء، واخبار بني أمية وبعض من بني العباس[9].

ومن أخباره عن بني أمية، فقد اكثر عنها في كتابه، كون حاجب المنصور هو الذي آلف له كتاب الفصوص وكان احد خدام الأمويين بالأندلس، ومن اخباره في هذا الفص قال: دخل عمر بن عبدالعزيز الى عبد الملك بن مروان فقال: قد زوجتك فاطمة بنت عبد الملك. فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين، فقد قضيت المسألة، فأجزلت العطية، فأعجب عبد الملك، فقال بعض بنيه: تعلم بعض الكلام يا امير المؤمنين فقاله. قال: فدخل عليه يوما فقال: كيف نفقتك يا عمرُ؟ فقال: بين الامرين. قال وما ذاك؟ قال: قوله عز وجل**((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً))**[10]، فقال عبد الملك: فمن علمّة هذا؟ قال عمارة بن غزية[11].

فقد استدعى البغدادي هنا رمزية السلطة للتعبير عنها في نقل الخبر، ليكون معادلا موضوعيا من خلال وصف نبل أخلاق الخليفة في وصف شخصية قياديه جذابة، وايمانه الراسخ بمبادئ وعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وأيمانه بالمصير والمال وباقي الصفات الأخرى التي جعلت من مكانته مقاما كبير عند بني أميه. فقد كان التداخل النصي بين شخصيتين مهمتين جعل منه نصا نثريا جزل المعاني والألفاظ، ومما اعطى النص قوة وقبولا استذكار آية من آيات الذكر الحكيم، دليل على عظمة تأثير النص في سامعيه وهذا ما دأب عليه أدباء وشعراء الخلفاء الامويين والعباسيين، ومن هنا نجد أن عرض الشخصية بوصفها وحدة دلالية قابلة للتحليل والوصف، أي من حيث هي دال ومدلول وليس كمعطى ثابت وقبلي[12].

ومثله نجد في شخصية الرسول الأعظم محمد(ص) في تزويج أبنته السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) من أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فكلاهما من أعظم الشخصيات وأفضل الخلق عند الله سبحانه وتعالى، فقد قيل في اختيار الله لعلي بن ابي طالب زوجاً لفاطمة بنت محمد(عليهم أفضل الصلاة والسلام)، قيل جاءت فاطمة(ع) الى ابيها، وهي باكية. فقال لها: ما يبكيك يا قرة عيني، لا ابكى الله لكِ عينا؟ قالت: يا

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الثامن عشر– شباط 2023 – رجب 1444 ISSN-2536-0027

ابتي أن نسوان قريش يعيرن ويقلن: أن أباك زوجّك بفقير لا مال له! فقال لها: يافا طمة! أن الله عز وجل أطلع الى الأرض اطلاعه، فأختار منها أباك، ثم أطلع اطلاعه ثانيه، فأختار منها بعلك وابن عمك، ثم أمرني أن ازوجّك منه، أفلا ترضين أن تكوني زوجة من أختاره الله، وجعله لك بعلا؟ فقالت: رضيت وفوق الرضا، يا رسول الله[13].

ومما جاء في أنموذج التداخل النصي للشخصيات التاريخية، جاء فيها استذكار شخصية(الطفيلي)[*]، عن طريق مناظرات محتدمة بين مشاهد عرض الكلام واختيار الألفاظ المناسبة للرد، واختيار المعاني القوية لتعزيز الموقف، فجاء في خبر الطفيلي الذي أحتج بالحديث النبوي الشريف قال: حدثني أبو علي الخصيبي بالبصرة قال: كان في جيراني رجل طفيلي، وكان يرتصد خروجي كل يوم، وإذا دعيت الى مدعاة ركب بركوبي، فأكرم من أجلي، وجلس الى جانبي فضاق صدري واستحيت أن أقابله بشيء حتى عمل لي أمير البصرة صنيعا فدعاني فيه: فقلت والله لئن وافى الطفيلي عادته لأخزيّنه، فلم يلبث أن ركب ركوبي ونزل معي، فلما أحضروا الأدبة قلتُ رافعاً صوتي في الملأ: حدثنا فلان عن فلان عن نافع عن ابي عمر أن رسول الله(ص) قال: **((من حضر طعاماً لم يدع اليه، مشى فاسقاً، واكل حراماً))**[14].

فلم استتم كلامي حتى قال الطفيلي: يا أبا علي، لقد تحجرت واسعا، وابديت على هذا الطعام جشعا، كأنك طاوي سنة أو أن هذا الطعام لا يكفيك ولا يشبعك حتى كأنك القائل[14]:

لا أشْتُمُ الضيف إلا أن أقول أباتك الله في أبيات عَمَّارِ

أو كأنك القائل: أني لعمرك ما أقري النزيل أذا حن الظلام وما رقت له كبدي[15]

فسكت هنا الخصيبي وخجل وودّ لو تنشق الأرض وتبلعه خجلا وحياء وحصرة فقال الأمير للطفيلي: أغرك الله انت لست بطفيلي، بل الطفيلي من تأكل طعامه، وكان عنده مثلك فأكرمه وعزه وأمر له بعشرة الالاف درهم، واستذكار شخصية الطفيلي جاء وفق تسلسل تفاضلي عن طريق مناظرات جرت بينه وبين الخصيبي على الملأ.

وهنا نستذكر من أخبار الطفيليين ما رواه الأصمعي من خبر طفيلي من اهل الكوفة من بني غطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى اليها فكان يقال طفيل الاعراس والعرائس[16]، ومنه قول امرئ القيس[17]:

فَالَيْوَمَ أسْقَى غَيرَ مُسْتَحقِبِ* إثْماً مِنَ اللهِ وَلا وَاغِلِ { السريع }

وقد ذكرت أخبار الطفيليين في كثير من الروايات، ونجد في أحد الأخبار للبغدادي يقدم فيه شخصيه من الشخصيات المهمة، تقدم نفسها بنفسها بواسطة ضمير المتكلم، بأسلوب سردي واضح. أذ يقول: عن محمد بن إبراهيم، عن محمد بن معن قال: دخل عمر بن مصعب على ابن مطيرة والي المدينة، مع قوم في حاجة لهم، فقال له ابن مطيرة: من انت؟ عرفني بك قال: أنا عمر بن مصعب. فقال: لا عرفك. فقال له عمر: أعرفك نفسي: أنا النجم، وأبي القمرُ، وأمي الشمس وأني كما قال الشاعر

إذا زادَ أقواماً جَهَالةُ غيرِهم بِهِمْ ضَعَةً أزْرَي بجاهِلِنا الجَهلُ[18] { الطويل }

ففي هذا الخبر، الشخصية قدمت نفسها بنفسها بأسلوب خبري واضح من خلال العبارات المستعملة في تمجيد عمر بن مصعب لذاته ولأصلهُ مقابل للنكران الذي ابداه ابن مطيرة له، فالشخصية تقدم نفسها أما لرغبة ذاتية من دون خضوعها لمؤثر خارجي وفق حدث وموقف ما، فتنطلق للحديث عن ذاتها، وماضيها، وحاضرها على نحو من الإسهاب والاستفاضة، أو يكون تقديمها لذاتها مقتصراً على نحو الحدث والموقف الذي دعاها لتقديم نفسها للأخرين ، وقد يكون مستفيضا أذا استدعى الموقف. ومثل هذا الخبر جاء في حوار على تقديم الشخصية لذاتها فنقل لنا البغدادي خبراً مفاده، قدم الوليد بن يزيد يريد الحج- وهو أذ ذاك ولي عهد- فدخل عليه الناس ودخل عليه الشعراء، فدخل فيهم أبو معدان مهاجر مولى

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الثامن عشر– شباط 2023 – رجب 1444 ISSN-2536-0027

آل أبي الحكم، وكان راوية الأحوص وقد استعان بعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وعمر بن مصعب، وأبن ابي عتيق المنذر بن أبي عمر كاتب الوليد بن يزيد، فأنشده نصيب ثم قام أبو معدان فأنشده يقول[19]:

ألم ترَ للنجم أذ شنع بزوال من برجه المرجعا { المتقارب }
تحير عن قصد مجراتهُ أتى العذر وألتمس المطلعا
سررِتَ به أذ بدا كابيا وأما ابن شمران فاسترجعا

فأنكره الوليد فقال: من أنت؟ قال: أنا أبو معدان. قال: فمن أبن شمران؟ قال: أصلحك الله، جرى به الروي على لساني، وأعاد عليه المسألة، فقال: ومن أبو معدان؟ قال: من لا تنكر أصلحك الله مهاجر مولاك، فبدأ قبلهم عبد الله بن معاوية فقال هذا أبو معدان أصلح الله الأمير وهو ابنه عندنا من أن يجهل[20].

فجاءت الشخصية هنا لتكشف عن نفسها على نحو سريع ومكثف عن طريق الحوار المتفاعل بين أطراف التحاور، الأمر الذي منح الراوي حرية التنقل فيصعد ويهبط ويتجه الى الخلف والأمام، بحسب الموقف الذي تعرضت له الشخصية ورؤيتها الفكرية[21].

وهنا نلحظ، أن الشخصية قدمت نفسها بذاتها في كلا الخبرين، أذ أمتص البغدادي الفصوص لشخصية واحدة قدمت ذاتها في حالة شعورية جلية بحسب الموقف والحدث المعبر عنها.

ومن التداخلات الأخرى في الشخصيات، جاء في كتاب الفصوص استدعاء شخصية الحيوان متخيلا بصفات ووظائف إنسانية، أي أنه هناك شخصية متخيلة تطلق عبارات وصفات إنسانية على الحيوان، وهذا ما يسمى بالأنسنة[22]، ونقل البغدادي خبراً في ذلك حيث قال: تقول الأعراب: خاصم الضّب الضفدعة في الماء، أيهما أصبر عنه، وكان حينئذ للضفدعة ذنب، وكان الضّب ممسوح الذنب، فلما غلبها الضّب أخذ ذنبها، فخرجا في الكلأ فعبرت الضفدعة يوما ونادت:

يا ضَبَّ وِرْداً وِرْداً { منهوك المنسرح }
فقال الضَّبّ: أصْبَحَ قَلْبي صَرَداً(*) { منهوك الرجز }
لا يَشْتَهي أن يردا
إلا عَراداً عَرِدا
وصِلّياناً بردا(*)
وعَنْكَثاً مُلْتَبِدا[23]

ففي هذا الخبر نجد هناك شخصيتين حيوانيتين تقومان بأدوار خيالية لا وجود لها، فالحيوان لا ينطق ولا يفكر، لكن البغدادي في خبره هذا أعطى الشخصيتين ابعاداً رمزية ليؤدي الحيوان دوره بإتقان، فيعمل الراوي على أنسنه الحيوانات من خلال الأفعال والحركات.

وكثير من الحيوانات تأتي بأدوار مساندة لشخصيات إنسانية وتعمل على وضع الحلول[24]. وبذلك نجد البغدادي، أمتص الشخصيات الخيالية ووظفها في أخباره، لتقوم بأدوار ليست بعيدة عن النفس البشرية برمزية الخيال، وهذا ما نراه عند أبن المقفع في كتابه(كليلة ودمنة)، فهو يرمز الى الإصلاح الهادف من خلال لسان الحيوانات المتخيلة، فالأسد لعب دوراً مهماً باعتباره الملك الحقيقي في الغابة، والملك المتخيل في الشخصية أضافة الى حيوان الثور، وبنات اوى وغيرهم من الحيوانات، حيث يصل الأمر الى جعل الحيوان الأعجمي يتكلم ويحاور ويفكر، أي ينقل هموم النفس البشرية هنا تكمن أهمية الأدوار الخيالية في خلق الشخصيات الحقيقية[25].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الثامن عشر– شباط 2023 – رجب 1444 ISSN-2536-0027

ومن الشخصيات التاريخية المتخيلة في الفصوص، شخصية(الغريم)(*)، الذي كان لهُ دين يماطل به غريمه فقال: يروى أن رجلا من الأنصار، كان له على آخر دين، وكان يماطله به غريمه، فلقيه يوماً فقال له:

إنّي أضْطنأْتُكَ فَاعْرِفْ لِي مُكَارَمتي إنَّ الْحَياءَ مِنَ الإسْلاَمِ والْكرمِ { البسيط }
لَوْلاَ اضْطِناؤكَ لَمْ أوثِرْكَ مَكْرُمَةً لَكِنْ أخَذْتُكَ بِالأنْفاسِ والَكظَمِ*(26)

فالشاعر وظف في هذا الخبر، شخصية تخيلية لينسج حولها احداث خبره، فرسم وجود الشخصية وما جرى عليها من أحداث، واستخدم عبارات الاستحياء، لتكون مؤثرة في الرجل الأنصاري ليوفي دينه، فكانت عباراته ذات تأثير قوي فما أن سمع الغريم كلامه، لم يلبث أن وفاه دينه فاستحى من وقع العبارات وقوة تأثيرها على النفس وهذا جاء من خلال توظيف الية الامتصاص، والصورة الفنية الإبداعية، ولغة الحوار اللفظي، فالشاعر استأثر الحياء ليوظفه في حل ازمته.

ونجد في خبر اخر أن رجلاً كان له على أبو نؤاس دين، وكان يماطله، فألح عليه الغريمُ، حتى لزم بابه، بات بفنائه، فلما أصبح أبو نؤاس، أخذ غلاما له، فحلق رأسه، وكتب عليه:

وَأَخوَسَ دَلاَّجٍ عَلَيَّ وَرَائِحٍ رجاءَ نَوَالٍ لَوْ يُعَانُ بِجُودِ { الطويل }
وإني وإيّاهُ لِقَرنانِ نصطَلي منَ المطلِ ناراً غَيرَ ذاتِ خُمودِ
قَطَبْتُ لَهُ وَجْهاً قَطُوباً عَنِ النَّدى وَأَيأَستُهُ مِنْ نَائِلٍ بِوَعيد(27)

فلما قرأ الغريم الشعر، فقد الامل في أرجاع دينِهِ، فأنصرف ولم يعد اليه على العكس من قول الشاعر السابق، فهنا نلاحظ أن البغدادي استخدام صاعد البغدادي للمتعاليات النصية، أي انها نصوص متعارضة تجعل النص ذا علاقة ظاهرة أو ضمنية مخفية مع نصوص أخرى. وهذا ما أسماه جيرار جينيت ب(التعالقات النصّية الكلية أو التحويل النصي)(28)؛ أي أن هناك علاقة تجمع نصاً متفرعاً(ب) بنصاً أخر أصلي(أ)، وهذا ما نجده في معارضة أبو نؤاس للنص السابق بعدم حصول الغريم على ماله في النص المتفرع وتعدُّ ظاهرة نصية تكونت فيها علاقة تربط النص اللاحق بالنص السابق.

ومن الشخصيات التي ذكرها صاعد البغدادي في فصوصه، إذ ذكر لنا خبراً نقله الحسين بن المنذر الاصبهاني، قاضي حصن المهدي، قال: حدثنا أبن دريد، عن عبد الرحمن، عن عمّه الاصمعي قال: أصيب أرطاةُ بن سُهية بولدٍ، فجزع عليه جزعاً شديداً، فأقام على خبره حولاً كاملاً يقول كلما أصبح : أيّ ابناهُ أنا أمسيت عندك هل أنت رائحٌ معي؟ ويقول إذا أمسى: أيِ ابناهُ: إنْ أصبحتُ عندك، هل أنت غادٍ معي؟ فلما استكمل حولاً، أنشأ يقول:

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى وَلَمْ يَكُنْ وُقُوفِي عَلَيْه غَيْر مَبْكًى وَمَجْزَعِ { الطويل }
هَلَ أنْتَ- ابْنَ لَيْلَى- إنْ دَعَوتُك رَائِحٌ مَعَ الرَّكْبِ أْو غادٍ غَدَاة غَدٍ مَعِي(29)

فالشاعر هنا ذكر شخصية ابنه في جزع وبكاء، وحزن وألم، متحسراً في أثر الفائت من أيامه معه فيقول له: هل تروّح مع ركبان الابل أن انتظرناك، وهل تغدو غداة غداً معي أن أقمت لك. وهذا مظهراً من مظاهر الحزن واليأس والانقطاع بين التألف والاجتماع.

وجاء مثله في لوعة الشاعر ابن الرومي عندما يرثي ولده قائلاً:

بكاؤكُما يَشْفِي وأن كَانَ لَا يَجْدي فَجُودا فَقَد أوْدى نَظَيرِكُمَا عَنْدي { الطويل }
بُنيّ الْذي أهَدتهُ كَفَّاي للثَّرى فَيا عزّة الْمُهْدى و يا حَسْرة المُهدِي(30)

فالشاعران قد وظفا ألية الامتصاص في شعرهما وتداخلا في مرارة الفراق والحزن واليأس، وتعدُّ ممارسة نقدية ذو محورٍ متكاملٍ يعكس ما يمر به كل شاعر.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الثامن عشر– شباط 2023 – رجب 1444 ISSN-2536-0027

ومن مضامين التداخل النصي للشخصيات المذكورة في كتاب الفصوص، نذكر منه خبر ذكر فيه شخصية بثينة حبيبة جميل حيث ذكر البغدادي خبراً قال[31]: حدثنا أبو علي قال: حدثنا أبو بكر بن السراج[*] قال: حدثنا أبو سعيد السكري[*] قال: حدثنا أبو زيد عن المفضل الضّبي قال: كان جميل يختلف الى بثينة ويتحدث اليها، فقيل لأخيها شبيب: أرتصده، فأنك ستصيبه كامنا في ذنابة الوادي، حتى ابهر الليل، وسكن الحس، وأمن العائنة، أتاها يسيب انسياب الأيم فناجاها وانصرف، فأرتصده اخوها شبيب فأخذه واوجعه ضرباً، وأراد قتله فأفلت جميل، ولمَّا حضر الحج، حضره شبيب أخو بثينة، فأخبروا جميلاً أنَّ شبيباً قدْ حج فلمَّا أبصرهُ اخذ ينشد[32]:

فَلَا أنْسَى عَجَائِبَ ذَاتِ نَفْسِي بِمَكَّةَ إذْ دُعِيتُ إلىَ شَبِيبِ { الوافر }
وَقَالُوا: يَا جَمِيلُ، أتَى أخُوهَا فَقُلتُ: أتَى الْحَبِيبُ أخُو الْحَبِيبِ
أُحبُّكَ أنْ نَزَلتَ جِبَالَ حِسْمَى[*] وَأنْ نَاسَبْتَ[*] بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

فالشاعر هنا أستدعى الشخصية الرئيسية تمثلت بمحبوبته(بثينة)، وعلى الرغم من أن محور الحديث جاء باستدعاء الشخصية الثانوية وهو أخو بثينة(شبيب)، ألا أن ذلك لم يمنعه من التصريح ما يحس به من لوعة الحب، وصورة الأسى التي تلاقيه من فراقها

ومثله نجد عند كُثير عزّة استدعاء شخصية حبيبته(عزّة) في قوله[33]:

خَليليَّ إن أُمُّ الحكَيمِ تَحمّلت وَأخلت لِخيَماتِ العُذيبَ ظِلالَها { الطويل }
فَلا تَسقياني مِن تِهامَةَ بَعدها بِلالاً وإن صَوبُ الرَبيعِ أسالَها
وكُنتُمُ تَزينون البَلاط فَفَارَقَت عَشِيَّة بِنتمُ زَينَها وَجَمَالَها
وَقَد أصبح الرَّاضُّون إذ أنتمُ بها مسوسُ البلادِ يشتكونَ وبالها
فقد أصبَحَت شتّى تَبُثُّكَ ما بها ولا الأرضَ ما يَشكو إلَيكَ اِحتِلالها
إذا شاءَ أبكَتهُ مَنازِلُ قدَ خَلَت لِعزَّةَ يوماً أو مَناسبُ قالَها

أن قصيدة الشاعر أنموذج واضح لاستدعاء شخصية كان لها تأثير واضح على نفسه، وتعدُّ شخصية محبوبته عزّة هي المحور الرئيس في القصيدة، وأم الحكيم هي كناية عن عزة، فالشاعران امتصا اللفظ والمعنى وتداخلا من خلال طرح المعاني والصورة الشعرية المعبرة عن الحزن والالم الذي لاقوه من فراق الحبيب[34]، فالبغدادي عمد الى استدعاء الشخصيات في كتابه، لأنه يمنحها بعداً يجعلها تتجاوز العصر الذي ولدت فيه، وكذلك يصبح متواصلاً معها من جهة أخرى مما يجعلها تبرز السمة التي تميزت بها في عصرها السابق، لذلك أصبحت رمزياً يقتدى به في كافة المجالات سواء كانت سياسية او فنية او فكرية او عاطفية كما في جميل بثينة، وكُثير عزّة[35]. أن التداخل النصي في كتاب الفصوص أهتم بفكرة استدعاء الشخصيات التاريخية والتراثية، كونها تمثل موروثاً معرفياً وثقافياً يستمد منه الشاعر موضوعاته، لما لها من قيمة جمالية عل العمل الادبي من جهة وعلى المتلقي من جهة أخرى.

وكتاب الفصوص قد أشار الى استدعاء بعض الشخصيات، منها ما كانت تاريخية حيث كان لها دور في أضفاء بعض الموضوعات على القصيدة بما يلبي غرضها، ومنها ما جاء على شكل اخبار في نقل الفكرة المتداخلة متزامناً مع فكرة الكتاب الذي عمد مؤلفة الى استخدام لغة الخبر كأن تكون أخبار حزينة أم مفرحة حيث عرضها البغدادي بأسلوب فني مكثف، وصيغة جمالية مختصرة، ومنها ما كانت شخصيات اجتماعية تتعلق بالملوك والزعماء والفرسان، حيث كانت الشخصيات المستدعاة لها دلالات وادوار ارتبطت بها وكان لها الدور الأساسي في عملية الاستدعاء في كتاب الفصوص.

إذ كان دور الباحث في هذا الصدَّ الكشف عن مواطن القوة والضعف في هذه الشخصيات من خلال التقييم الفني لكل منها. أن فكرة الاستدعاء في كتاب الفصوص هي محاولة الكاتب من صهر التأريخ ومحاكاته لتدعيم العمل الادبي، والتداخل النصي يعمل على توضيح مدى الارتباط النص بالعمل الادبي وإعادة فكرة انتاجه بمعطيات مختلفة، أذ تقوم هذه الشخصيات باستعمال ايحاءات ودلالات تحمل في طياتها رؤى جديدة للنص الجديد. أن التداخل النصي في كتاب الفصوص من استدعاء الشخصيات فتح لنا أفاقاً أخرى تستدعي للباحثين الغوص في مجالات أخرى لرسم صورة فنية ذات أبعاد جمالية من خلا تداخلها فنياً، وهذا بدوره مهد لنا الطريق أمام اختيار مبحث تجري فيه تداخلات داخلية من كتاب الفصوص لما قدمه صاعد البغدادي من تداخل المعاني فيما بينها بفكرة واحدة من داخل الكتاب.

الهوامش

1- ينظر: تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية النص)، د. محمد مفتاح: 123.
2- ينظر: المصدر نفسه: 133.
3- ينظر: التناص في شعر حميد سعيد، يسرى خلف حسين: 129.
4- ينظر: الرواية والتراث السردي(من أجل وعي جديد بالتراث)، سعيد يقطين: 10.
5- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري: 15-16.
6- ينظر المصدر نفسه: 17.
7- ينظر: استدعاء شخصية الحسين بن علي(ع)، في الشعر العراقي الحديث، تيسير أحمد الزيات: 138.
8- ينظر: صاعد البغدادي، حياته واثاره: 251.
9- ينظر: المصدر نفسه:251-252.
10-الفرقان: 67.
11-ينظر: صاعد البغدادي، حياته واثاره: 252.
12- ينظر: بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، حسن بحراوي: 213.
13- الروضة في فضائل أمير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمي: 26.
14- كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي: 2/ 915.
15- ينظر: التطفيل، وحكايات الطفيليين واخبارهم ونوادر كلامهم واسفارهم، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: 94.
16- ينظر : المصدر نفسه: 94.
17- ينظر: المصدر نفسه: 94.
18- ديوان أمرئ القيس: 394.
19- الابيات منسوبة الى أميه ابن الأسكر، جمهرة أشعار العرب: 323. الفصوص: 274/4.
20- الفصوص: 275/4-276.
21- ينظر المصدر نفسه: 276.
22- ينظر: بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات- الوظائف والتقنيات، ناهضة ستار: 191.
23- ينظر: مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، الشخصية القصصية وإمكانيات التخييل(نظرة سردية في قصص الأطفال)، أ.م.د. سوسن هادي البياتي، العدد: 9، لسنة2012.

24- الفصوص: 115/1. الابيات في أصلاح المنطق: 394. اللسان:288/3. الابيات الأربعة الأولى في المعاني الكبير:641. الحيوان، الجاحظ: 125/6.
25- ينظر: الشخصية القصصية وإمكانية التخييل، د. سوسن هادي: 59-60.
26- ينظر: الحيوان في الحكاية الصوفية، فائز طه عمر: 20.
27- الفصوص:222/2.
28- ديوان أبو نؤاس: 602. الفصوص: 223/2.
29- مدخل لجامع النص، جيرار جيميت:1. انفتاح النص الروائي، النص والسباق، سعيد يقطين: 96.
30- الفصوص: 196/1.
31- ديوان أبن الرومي: 400.
32- كتاب الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد: 38/2.
33- ديوان كثير عزة: 27.
34- ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي: 212.
35- ينظر: استدعاء شخصية الحسين بن علي(ع)، في الشعر العراقي الحديث، تيسير أحمد الزيات: 82.